

النشاط الثقافي في العالم

انكلتر

رسالة من شفيق مفار
المرح

ماذا حدث للجيل ((الغاضب)) ؟

متى احسست - لسبب ، او لآخر ، قد يكون الميلوا الاستعراضية ، او حب الشهرة ، او التطلع الى الثراء ، او مجرد الكسل وحسب الثروة ، او بعض هذه الاسباب ، او كلها جميعا . ان العرقة التي يلد لك ان تحترفها هي حرفة ((الفن)) ، ولم يكن لديك ذلك النبع الداخلي الذي يجيش ويغلي في اعماق النفس ، ويعلو ، ويندفع ، كما تنبثق الينابيع الساخنة من اغوار الارض ، فاي شيء تفعل لكي تحترف الفن ؟ تركب موجة حماس آتى ما يكون سائدا حولك كما تسود موجات الموضة في دنيا الازياء ، او - اذا كنت بازعا وذا حساسية خاصة لالتقاط ما يريده الناس - تفتعل لك موجة تركبها . لكن الموجة ما تلبث ان تغدك وتغمر من تحتك .

ذلك شيء يحدث في كل زمان ومكان . وقد عايشناه وتوقعنا النهاية الاسيئة التي انتهى اليها في مصر حيث باخت ونفقت موجة المسرح التي ركبت موجة ((المجد والخلود)) قبل ان تدمرها الاحداث وتكشف زيفها وزيف ما ركبته . وها نحن نشهد نهايته الاسيئة في المسرح الانجليزي ايضا .

اين ذهب محترفو مسرح الغضب ؟ انفتحا غضبهم فيما يبدو - وخدمت نيرانهم ، وادار لهم الجمهور البريطاني ظهره مثلما ادار النقاد ظهورهم . جون اوسبورن الذي استمدت الموجة كلها ذلك الاسم من مسرحيته ((انظر وراءك في غضب)) ، تحول - كما تحول قرناؤه في امكان اخرى - الى مقتبس ، وقد راقت له تلك اللعبة - فيما يبدو - بعد ان اقتبس ((توم جونز)) للسليما ، فاقتبس مؤخرا ((كوريلانوس)) المعنودة - بعد ((تيمون الاثيني)) من اسوا مسرحيات شيكسبير ، و((دوريان جراي)) ، ((حدوته)) اوسكار وايلد التي سبق ان ابتدئها هوليود بطريقتها المعهودة . وما زال اوسبورن ينتظر ان يقبل مسرح من مسارح لندن احدى مسرحيته . ولقد كان ذلك امرا متوقعا ، في حالة اوسبورن (ولقد تساءلنا من قبل ((ما الذي يقضبه كل هذا الغضب ؟)) ، لا لانه لا يوجد هنا ما يشير الغضب ، بل لان غضب صاحبنا اوسبورن بدا لنا مجانيا ، وغير مقنع ، منذ البداية)، وهو بصير مائل ابدا بالنسبة لكل من هم على شاكلته اوسبورن . فالرجل - منذ البداية - كان صانعا ، ولم يكن مبدعا : لم يخلق شخصا حية تتفاعل وتعاني وتنطق فتفصح عن حقيقة انسانية ما ذات قيمة اخلاقية وجمالية ، ولم يبدع فنا ، بل وضع مجموعات (متفتنة الصنع) من اللمى ، وحركتها يتمكن على المسرح ، ليجعلها تنطق (كاشرطة الات التسجيل) باقوال كانت الغاية القصوى منها اظهاره بمظهر الرجل المثقف صاحب الافكار والاعتراضات الهامة . وذلك ما سبقه اليه برنارد شو ، ايام موجة الغابية ، عندما كان اوسكار وايلد وجيله من ((الغاضبين)) يركبون موجة الجديد . لكن شو كان

من الصديق مع نفسه ومع الغير بحيث جاهر بان مسرحياته لن تعود تشير اهتمام احد بعد جيل او جيلين ، لان كل ما تناقشه من قضايا وافكار سيكون قد بات من المسلمات التي لا يتناقش حولها احد . وقد صدق تنبؤ شو ، ولم تبق من مسرحياته الا ((بجمايوسون)) ، وهي الوحيدة من اعماله التي وجد مديرو المسارح البريطانية امكانية لحياتها عندما اضطروا للجوء الى شو وغير شو ، في فحط الموسم الماضي . غير ان شو - مع ذلك المصير الذي لحق باعماله بعد موته - ظل حيا - كفتان - ولم يندثر ، حتى مات ، بينما يموت فناسو الغضب الان تحت السمع والبصر وهم في سن كان من المنتظر ان يقولوا فيها افضل ما عندهم ، لو كان عندهم ما يقال .

وها هو ارنولد وسكر - رغم ما بدا واعدا به ايام ((البطاطس مع كل شيء)) - يواجه نفس المصير المعتم . فقد استقبل النقاد مسرحيته الاخيرتين : ((الاصدقاء)) ، و((كبار السن)) اسوا استقبال ، ورفضت مسارح لندن مسرحيته اللاحقة ، ((الصحفيون)) ، فاذا به يتنابه ذعر من الفشل والانطفاء ، ويهرول الى حيث يعلم كل كاتب اوروبي انه مستطيع ان يجد الملاذ . . بشن : في حزن اليهود ! لكن وسكر ليس بكل هذه السذاجة . فهو لا يقدم على لعق احذية اليهود (وهو ليس الاول في ذلك ولا الاخير . . فذلك طابور طويل ينتهي امر السواد الاعظم من كتاب الغرب بالانظام فيه) بغير حيلة او حيلتين تحفظان عليه ماء وجهه ، وتحفظان عليه سمعته القديمة ككاتب ((غاضب)) - يا حول الله - خاب امله في اشيء لا حصر لها ولا عدد : في الاخوة الانسانية ، والنصيم الاشتراكي ، والصدافة ، والحب ، والزواج ، والحكومة ، وهو - لذلك - يعرض بينما يشير بيده الى اليهود مستقبنا مستجبرا من الانذار ، على الاحتفاظ بعباءته القديمة . وبعملية حسابية بسيطة ، وجد وسكر ما يقضب منه هذه المرة :

اليهود اناس طيبون . وهم - في اغلب الاحيان - رجال مسال واعمال ، ومرتبطنون في النهن الغربي بالرأسمالية . عال . نجد لنا موصفا في اجسام اليهود نلغقه ، وناوش الرأسمالية . لكنه ما دام اليهود يهودا ، وبالتالي اناسا طيبين ، فلا بد ان يكونوا ايضا رأسمالين طيبين . وهكذا كان . ولكن من اين ياتي الكاتب المستجير من الانذار بالمادة الحية التي يضع منها تلك الكعكة ؟ لا مادة هناك . لانه لا يوجد في النبع الداخلي شيء . فلنلجأ الى الاقتباس اذن . ويذهب وسكر رأسا الى دستوفسكي ، فيستشير منه قصة موباسانية بعض الشيء ، ليست - على وجه اليقين - من افضل قصصه ، بعنوان ((ورطة غير مستحبة)) ، ويقتبس منها مسرحية بعنوان : ((حفل الزفاف)) ، يجعل بظلمها رجل اعمال يهوديا ثريا لديه مصنع احذية ، اسمه لويس ليتفانوف . فهو رجل رأسمالي ، لكنه رأسمالي يهودي رحيم ابوي النزعة ، يحب عماله حبا يفوق الوصف (الم يحس وسكر بالسخف وهو يكتب هذا ؟) ويتوقع من عماله ان يبادلوه حبا بحب ، وجوى بجوى ، لكن الظروف اللعينة ضد ذلك الرأسمالي اليهودي الخير ، او لنقل انها تناقضات النظام الرأسمالي خبيثه الله (ولا ننسى ان وسكر بدا غاضبا واشتراكيا ورديا) . وهكذا فان كل ما يفعله العم ليتفانوف الطيب يتقلب وبالا عليه ، لان تناقضات النظام الرأسمالي تجعله في واد وعماله في واد . ويبلغ الامر ذروته عندما يقدر الرجل ، من طيبة قلبه ، ان يذهب فيحضر حفل زفاف احد مستخدميهم ، فلا يفلح الا في اخراج اصحاب الحفل واثارة ضيقهم ومقتهم له ، وينتهي

الامر بان يتكاثروا عليه ويضربوه (انظر فقط الى هذا التفسير البارح لما يشيره اليهود من مقت حيشا ذهبوا) متظاهرين بانهم يؤدون لعبة تنطوي على طقوس شعائرية (ووسكر هنا يحتفظ بسمة من سماته القديمة ، وهي الولوج باستظهار الجانب الشعائري في سلوك الناس) ولعل اولاد الحرام كانوا منتهين السى قتل اليهودي المسكين حسن النبية لولا تدخل سكرتيرته التي تنقذه في اللحظة الاخيرة ، وتأخذه الى حيث تداوي جراحه ، وتمسح الدم الذكي الذي اراقوه على وجهه ، وهي تحنو عليه وتدفعه بحبها ، وتزجي اليه النصيح بان يكف عن خطب ود اولئك الناس ، مكفيا بان يدفع لهم الاجر العادل السذي يستحقه عملهم ، وان يوجههم في الوقت ذاته - مجرد ايهام - بانهم يستمتعون بالسواوة التي يحلمون بها .

وبهذا يرضي وسكر الجميع ، وعلى رأسهم اليهود ، بطبيعة الحال . شخصية اليهودي هنا تدحض سلوك شيكسبير وتمحوه محوا (او هذا ما قد يعتقد وسكر) : شخصية يظهرها المؤلف « الشاطر » محببة ، لطيفة ، دمثة ، ومظلومة اذ يسيء الآخرون فهم دوافعها النبيلة ومقاصدها السامية ، جذيرة بالحب والتبذل اللذين تصبهما عليها السكرتيرة الواعية . وفي الوقت ذاته ، لا يفضب وسكر الاشرائيين : الا يظهر لهم على المسرح تناقضات النظام الرأسمالي التي تجعل كل تراحم بين البشر ضربا من المستحيل ، تماما كما قال برخت في « امرأة ستشوان الطيبة ؟ بل الم يسر على خطى برخت حتى في الصنعة المسرحية واستخدام الراوية ؟ ولا يفضب وسكر اليمينيين واصحاب الاعمال (ربما لان معظمهم يهود او لهم شركاء يهود) : الا يظهر لهم العمال على المسرح بهذه الصورة المتمبة من الحرونة ، والعنوانية ، والتشكك ، واساءة الظن ، والعدا ، بل الا يظهر لهم العمال في الحفل افظاظا مخمورين ، واهل صخب وشجار ؟ ما الذي يريدونه جميعا من وسكر ؟ ان يظل متابعا مسرحياته التي اقلقت في وجهها المسارح الانجليزية ، دائرا بها على المسارح الاقليمية في بلدان القارة ؟

لكنه لا حاجة باحد ان يثقل الوطء على الرجل . فانت في الغرب ، لكي تعيش ، يجب ان تسجد للشمس الصاعدة ، تماما كما يجب عليك ، في شرقنا ، ان كنت تريد ان تعيش ، ان تسجد للشمس الناعدة . لكننا يبقى بعد كل التهجد والسجود لمن يحتكمون في خزائن المال ومفاتيح الشهرة من اليهود ، في الغرب ، او غير اليهود في الشرق ، ان يثبت الكاتب انه مستطيع البقاء بفنه ، فانه مستطيع ان يقول شيئا ذا مغزى ، وان يضيف جديدا . وله بعد ذلك ان يتحمس ويفضب ما يشاء له الحماس والفضب ، شرط ان يكون ذلك لشيء يفتننا انه مستحق ان يفضب الكاتب له اخلاقيا وانسانيا .

واغلب الظن ان وسكر ، مهما استجار باليهود - لن يستطيع ذلك ، لا هو ولا سلالة « المحتدمين غضبا » ، حتى هارولد بينتر ، الذي اجاد فعلا في بعض اعماله السابقة ، وجون آردن ، وادوارد بوند ، واغلب الظن ايضا ان اولئك المسرحيين الذين لموا زمنا ثم انطلقوا ، وطويت صفحاتهم فعلا في وطنهم ، قد يظنون قادرين على البقاء - فنيا - لبعض الوقت ، على بعض مسارح القارة ، التي تفتح لهم ابوابها ، في الاقاليم غالبا والعواصم احيانا ، وتعرض اعمالهم .. ولكن كمنالاج فقط ، وبعدها سينتهي امرهم تماما .

الساحة الخاوية .. أولا شيكسبير :

والواقع ان المسرح البريطاني يبدو الان كلساحة الخاوية .. لولا بعض اعمال القدامى العظام ، خاصة شيكسبير ، ومارلو ، وبعض الاعمال الواهدة من القارة .

فلننظر ما ظلت مسارح لندن تعرضه من اعمال طيلة الشهور الماضية ، وما تعد لعرضه من بداية موسم الخريف . مسرح « صاحبة الجلالة » يعرض « هنري الرابع » ، لبيواندلو ، بطولة الممثل العظيم

رگس هاريسون . مسرح « البيري » يعرض « بجماليون » ، لبرناردشو . مسرح « البيكاديلي » يعرض « عربة ترام اسمها الشهوة » ، لتنيسي ويليامز ، بطولة كليلر بلوم ، الاولاديين يعرض « العاصفة » ، لشيكسبير ، غير المسرحيات « الدائمة » التي يستمر عرضها شهورا وسنوات ، كمسرحية سومرست موم ، « الزوجة الوفية » بطولة انجريد برجمان ، ومسرحية رودجرز وهامرستين الموسيقية « الملك انا » التي اخرجت في السينما بعنوان « انا وملك سيام » .

والواقع انه كما راجت احوال الافلام الموسيقية في السينما ، « سيدتي الجميلة » ، و « صوت الموسيقى » وما اليها ، والانمغارات « هكليري فين » ، لمارك توين ، نجحت المسرحيات الموسيقية نجاحا منقطع النظير ، ولعل اجدها بالذكر : « الشعر » (Hair) و « المسحج سوبر ستار » (Jesus Christ Superstar) ، و « عرض روكي للاهوال » (Rocky Horror show)

ولا تنافس المسرحيات الموسيقية على مسارح لندن الا مسرحيات واستعراضات العري والجنس ، في محاولة مستميتة (وغير ناضجة فيما يبدو) لمنافسة السينما في هذا المضمار : مسرح كامبريدج « ٢+٢ = جنس » . مسرح « الدوقة » « اوه كالكوتسا ! » التي حولت ايضا الى فيلم يحقق ارباحا خيالية في الوست اند . مسرح « واينبول » ، « نصف البيجامة العلوي » . مسرح « الرويالتي » : « الرويالتي فوليز » .. على غرار الفولي برجير الفرنسي الاشهر .

وجنبا الى جنب مع مسرحيات الجنس واستعراضات العري ، المسرحيات البوليسية : « بوليس سري » التي استمر عرضها حتى الان خمس سنوات كاملة على مسرح فورتشن . « من الذي راه يموت » ، على مسرح الهاي ماركت . « شلوك هولمز » لسير آرثر كونان دويل ، على مسرح الالدينيش ، وستنتقل قريبا الى الولايات المتحدة ، من فرط النجاح الساحق .

ونحن نسوق عناوين هذه المسرحيات ، بمختلف انواعها ، على سبيل المثال لا الحصر ، فهي اكثر من ذلك بكثير . وبوسعك ان تتوه بين مسارح لندن بحثا عن اللهو ، او المتعة ، او الاثارة ، او الترفيه ، حائرا لا تعلم اي مسرح تدع واي مسرح تختار ، وتزيد حيرتك عشرات المسرحيات الكوميديا الخفيفة الراقية ، ونصف الراقية ، والواقعة (التي تغخر بانها كذلك في اعلاناتها) ، فيدور راسك . لكنك لا تجد في كل ذلك ما تبحث عنه ، ان كنت تبحث عما هو افضل - وبمقاييسك انت - امته . وعندما تذهب باحثا عن ذلك الافضل والامتع (كم يدركنا ذلك بمسرح الحكيم) قد تحفى قنمك قبل ان تمش على ما تبحث عنه ، اللهم الا اذا كنت تبحث عن مسرح واحد من فرنسا او من غيرها من بلدان القارة ، خاصة من فرنسا . ولقد قلنا في رسالتنا السابقة ان باريس تجتاح لندن ثقافيا . وليس ذلك في مجال الابداع الادبي والنقد الادبي وحدهما ، بل في المسرح والسينما ايضا .

ولعل الوعي بذلك الخواء ، الذي يندفق الاجتياح الثقافي الفرنسي ليشغله ويملاه ، هو الذي دفع ادارة الفرقة الملكية الشيكسبيرية الى الاستعداد لوسم الخريف الذي تده من منتصف اغسطس القادم ببرنامج حافل : « الليلة الثانية عشرة » ، ابتداء من ٢٢ اغسطس ، اخراج بيترجيل ، و « كيل بكيل » ، ابتداء من ٤ سبتمبر ، اخراج كيث هالك ، ثم « ما كبت » العظيمة ، ابتداء من ٢٩ اكتوبر ، اخراج تريفورد ن ، على مسرح شيكسبير الملكي بستراتفورد - اون - ايفون ، مسقط رأس الشاعر العظيم . وعلى المسرح الصغير او « المسرح الآخر » ، كما يدعى ، بستراتفورد - اون - ايفون ، سيقدم كيث هالك اخراجا تجريبيا جديدا « للعاصفة » في اواخر سبتمبر ، وبعدها بقليل ، في الاسبوع الثاني من اكتوبر ، سيقدم توني تشيرش اخراجا تجريبيا لمساة شيكسبير الكبيرة « الملك لير » على مسرح (The place) وهو من المسارح الصغيرة ،

او مسارح « الاستديو » ، بلندن . كما ستشهد لنسب ، على مسرح الالديوش ، في ١٨ سبتمبر ، « ريتشارد الثاني » ، وقبلها - من مطلع سبتمبر - سيقدم نفس المسرح « الدكتور فاوستس » لكريستوفر مارلو . ولكن - فيما عدا القدماى العظام - ماذا نجد ؟ محاولة ، بنصف قلب ، لحياء عمل من جيل اوسبورن : « قبل مقدم الليل » لديفيد رذكين ، وهي من اعماله القديمة ، وليست ابداعا جديدا ، على المسرح الصغير بسترانفور ، ولثلا نياس ، مسرحية جديدة لسنو ويلسون (Snoo Wilson) ، بعنوان « الوحش » (The Beast) على المسرح الصغير بلندن - وبعد ذلك ، مسرحيات وافدة : « العم فانيا » لتشيكوف - « اهل الصيف » وهي اقتباس انجليزي من عمل لكسيم جوركي ، و « الرفاق » ، لستريندريج .

وهكذا يبدو ان المسرح البريطاني يستعد لموسم اخر يعيش فيه - اساسا - بغير ابداع محلي هام ، معتمدا على عروض تقوم على الكلاسيكيات الكبيرة ، وعلى محاولات لاجراجها تجريبيا ، من جانب اخر . وهو عين ما حدث في الموسم المنقضي الذي كانت ابرز عروضه واهمها شنيا : « دائرة الطباشير القوقازية » ، لبرتولت برخت ، و « الخادمتان » ، لجان جينيه ، وقد عرضت كمرسحية ، وباليه . برخت :

ولقد كان الموسم الماضي الموسم الثاني الناجح لدائرة الطباشير في صورتها الانجليزية . وقد حذف المخرج « البرولوج » ، واستبدل بحكاية المزرعتين الجماعيتين المتنازعتين قطعة ارض من اراضي البناء في بريطانيا تقام عليها عمارة يطالب بملكيتها العمال الذين يقومون بانشائها ، كما استبدل بالنص الموسيقى الاصلي مجموعة من الهان البوب (Pop) المعاصرة . وربما احس المخرج بوجودانوف ان المسرحية - رغم آنيته الواضحة ، اذ تس صراعات بدأت تطفو الى السطح ، رغم كل شيء ، في بريطانيا - قد تكون ثقيلة الوطء على جمهوره الانجليزي ، رغم الطابع المحلي وموسيقى البوب ، فاسرف في الكوميديا الى حد التهريج احيانا ، وفي بعض المشاهد ترك الحبل على غاربه لمثليه ينكتون ويهرجون ، حتى لقد بدا كما لو كان امين الهندي قد جاء من وراء البحار . والاهم من هذا وذاك ان ارضية كنيث تانيان وفيليب تويني النقدية بدت بصماتها واضحة في الانشغال في العرض بالرؤية الاجتماعية المباشرة لما طرحه المسرحية انشغالا اصفى تماما المشكلة الاخلاقية الانسانية المتمثلة في صراع « جروشا » والام على الطفل ، وما انطوت عليه تلك المشكلة من دعوة خطيرة : فيمحاذاة القضية الاجتماعية التي طرحها المسرحية : من الذي يمتلك العمارة؟ اولئك الذين اشتروا الارض والواد والعمل ، ام اولئك الذين بدلوا عرفهم وبراعتهم في اقامتها ؟ طرح دائرة الطباشير قضية اخطر : من الذي يملك الحق في الطفل ؟ الام التي ولدتها ؟ ام المجتمع (او الدولة) التي ستحسن تربيته ورعايته ؟ ولقد اخنفت تلك القضية تماما في العرضوبدا واضحاان المخرج اعتبرها مجرد تصوير عاطفي (illustration) للقضية الاولى ، وفرصة تتيج له استعراض قدراته في ابراز بطولة جروشا . والذي لا شك فيه بعد كل هذا ان العرض لم يكن ملحيميا كما اراده برخت ، باي معيار .

جان جينيه في نسخة مشوهة :

ومثلما بنا ميخائيل بوجدانوف عن مرابي برخت ، وتجاوز عن العديد من اشاداته المسرحية المستفيضة ، في اخراجها « لدائسرة الطباشير » ، ضل المخرج ، الذي يبدو من اسمه انه يوناني الاصل ، مينوس فولناكيس ، الذي ترجم « الخادمتان » ترجمة سيئة ، وخرجها على مسرح جرينتش ، ضل تماما عن رؤية جان جينيه (بل وتصوره للعرض المسرحي اصلا) في ذلك العمل المثير للجدل . . كساتر اعمال هذا المؤلف المتعب . وهو متعب للانجليز خاصة ، اذ تقف بينهم وبين عالمه الغريب ، عالم القديس المجرم ، الداعر المتدين تدينا - ضدا يرى الحياة من خلاله بكل عنفها ومتعتها وشورورها كسلسلة من الطقوس

والشعائر . نقول نقف بين الانجليز وعالم جينيه المغلوب هذا اشياء كثيرة ، ليس اقلها اثرا انجليزيتهم الصتيدة (ولا نعني لغتهم) . ولقد يكون بوسع الانجليز ان يتفاهموا بسهولة مع عالم شاعرهم الدرامي العظيم البيوت ويختلفوا حوله او يتفقوا ، اما عالم جينيه الشعري ، فمسألة اخرى . رغم ان جينيه ليس الا الوجه الاخر لايوت . وقد كان منطلق الانيسن واحدا : اكتشاف النبع الشعائري لفن المسرح في طقوس القداس الكنسي . وكل ما هنالك ان البيوت توقف - فسي رؤيته المسرحية الشعائرية - عند الوجه الطوباي ، بينما خلف جينيه ذلك الوجه بازدياد وذهب الى ما وراءه : الوجه الوحشي . واصغ اليه وهو يقول : « ان نبع هذا الفن كان دائما في شعائر القداس . والحقيقة ان ارفع ما توصلت اليه للراما الحديثه من ابداع قد وجد التعبير عنه ، يوما بعد يوم ، طوال الفئ عام ، في طقوس التضحية في ذلك القداس » .

ولو كان المخرج قد توقف قليلا عند هذه الرؤية لكان من المحتمل ان يدرك - ربما - ان التوتر الدرامي والشعر في (الخادمتان) كما في كل اعمال جينيه ، لا منفذ اليهها في العرض المسرحي الا من خلال التركيز الذي الحساس على الشعائرية الجنسية - الدينية المنحرفة للحدث ، والطبيعة الانشادية المستكنة للحوار التي تقترب به من مشارف الترتيل وتضعه على حافة الصرخات المرتعية الشبقة المتناعه الخائفة ، ولكن من المحتمل ان يدرك ايضا انه من خلال الصدام متعدد الاطراف بين الترتيل والطقوس المستفرقة في رؤى الجريمة والتبرد الفارقة في الشبق ، وبين الترانيم والصرخات الموشكة على الانطلاق ابدأ (وقد حولتها المثلة جلندا جاكسون ، في ادائها لدور احدى الخادمتين ، الى ما يشبه الزمجرة والزئير) ، وبين الفانتازي والحلم والواقع اليومي المتئل الدراج الذي يقمه المؤلف دائما بلهسات حادة سريعة مباغتة ، من ذلك الصدام متعدد المستويات ينبع التوتر الدرامي ، وينبثق الشعر في هذا العمل الصعب حقاً .

والمعروف من جينيه ان من حواذاته المقيمة صراعات الجنسية المثلية . وما من شك ان « الخادمتان » فيها عنصر قوي - وجوهري - من تلك الجنسية ، الى الحد الذي جعل جينيه يقترح في احدى المرات اسناد ادوارها الى ثلاثة من الرجال .

وذلك هو الجانب الذي لم يفت المخرج في العرض ، فقد ركز عليه تركيزا خاصا مرهقا ، خاصة في المشهد الاستهلاكي ، حيث بلغ ذروته فيما قارب ان يكون مشهد اشباع جنسي للخادمتين . لكن كل ما عدا ذلك غاب تماما عن مخرج الجرينتش ، فاضلت العمل منه ، وتسرب من بين اصابعه ، والحقيقة انه ظلم ممثلاته الثلاث (خاصة المثلة الشهيرة سوزانا يورك) وخذلهن ، كما خذلت مهندسة الديكور العرض كله بديكورها الزخرفي الباذخ بغير مؤدى الذي يبدو انه ادار رأس فيفيان مرشانت ، ممثلة دور السيدة ، واستوصيها ، فخرجت من عالم جينيه تماما لتقدم عرضا سيئا لبنت اللوات المدللة . وهكذا خرج العمل كله خامدا ، متعشرا ، رنا في طبيعته ، كانه مسرحية فودفيل رديئة بغير تهريج الفودفيل ، وماتت « الخادمتان » بين يدي المخرج الذي ظلم جينيه وظلم الجمهور الانجليزي معه لانه من يضيع في عرضه منظور جينيه (الشعائري ورؤيته الدينية الضد فحسب ، بل وضيع ايضا كل مضامين العمل السياسية الاجتماعية المستكنة تحت سطحه الشبقي .

وعندما اخذت فرقة الباليه الملكية « الخادمتان » فقدمتها في صورة باليه من اعداد هريت روس قدمت عملا رومانسيا متحذلقا رغم اقحامها لشخصية رجل ، عليها تتعامل مع عالم جينيه عن كتب .

مسرح الليمان :

هل من الغريب اذن ، والمسرح الانجليزي المريق خاو ، لا يفهم اوده الاعمالقته القدامى ، ان تكون عن الاحداث الهامة في موسمه الاخير زيارة فرقة وافدة .. ومن اين ؟ من ليمان سان كوينتين بالولايات المتحدة !

ولقد عرفنا مسرح القهوة ، ومسرح الحجره .. لكن « مسرح الليمان » هذا جديد بحق .. وفي الواقع ممتع .

وليست هذه هي المرة الاولى التي تزور فيها الفرقةبريطانيا، فقد قدمت في العام الماضي عرضا مسرحية عنوانها « الفصص » ابطلها اربعة مساجين : قاتل مجنون لا يقتل الناس فرادى بل يقتلهم جماعات ، ومجرم مصاب بالشذوذ الجنسي ، وملاك سابق انحرف بعد ان دالت دولته في عالم الرياضة ، ومجرم شاب مصاب بالصرع.

وان كنت من عشاق الواقعية ، فهذه فرصتك لكي تشبع منها وترتوي . ففرقة الليمان هذه (وكل افرادها ومؤلفها من خريجه) تبلغ بالواقعية الذروة التي ما بعدها ذروة ، في اللغة ، والحدث ، والحوار ، والجو العام ، والاداء . فكانك وانت لاصق بهمفلك - وربما منشبت به ، خشية ان تجر جرا الى خشبة المسرح ليقتلوك انت ايضا - تنتقل الى عالم الجريمة تحت ارضي في شيكاغو ونيويورك وتنغمس في التجربة حتى قمة رأسك . وان لم تكن تلك هي الواقعية فأي شيء تكون ؟ ويمكننا ان نقول الان ان حلم النقاد الذين طالما حاضرونا في كتاباتهم عن مباحثها قد تحقق اخيرا بأقصى درجات اكتماله على مسرح الينو اند ، بهامستند .

مؤلف الفرقة وصاحبها ومديرها ريك كلوشي (ارقبوا هذا الاسم) مجرم سابق كان محكوما عليه بالسجن المؤبد ، لكنه اطلق سراحه تحت المراقبة من ليمان سان كوينتين في عام 1966 لانه الف مسرحية « الفصص » هذه ، فكان فرقة ونجح في اميركا ثم جاء يغزو بريطانيا .

ومسرحية هذا العام ذات اسم غريب : « الحائط هو ماما » (The Wall is Mama) وبطلها ديوك مدمن وتاجر مخدرات صغير يختلف مع التجار الكبار فيهرب منهم ويذهب الى حانة وضيفة اسمها « بار الام » (Mother's Bar) (ولا داعي للتفسيرات اليتافيزيقية لان المؤلف - في اغلب الظن - لم يقرأ فرويد) . تقع صاحبة الحانة ، بيا ، في هوى ديوك هذا رغم انها تكتشف من فورها انه محكوم عليه بالاعدام ، لان الجلادين اللذين بعثهما التجار الكبار في اعقابه ، يلحقان به في الحانة وبعلمان ، بلا لف ولا دوران ، انهما جاءا ليقتلاه . وتحاول « بيا » ان تقاوم ذلك الحب المقضي عليه لكنها لا تفلح . ثم تظهر على المسرح شخصية جديدة : واعظ اعمى كسيح في مقعد كالمقاعد التي تتحرك بها بعض شخصيات صامويل بكت . لكن هذا الواعظ ليس في فصاحة شخصيات بكت البكماء ، فهو في معظم الامر منزو في مقعده كأنه ينتظر صابرا حتى يدفن الجميع . وفي اعقاب الواعظ الاعمى الكسيح يأتي جندي سابق ، ربما من حرب فيتنام ، وملء قلبه كراهية للشيوعيين ، والشواذ ، والهيببيسز (وبطيعة الحال لليهود المساكين . فالشخصية عدوانية وكريهة ، ولا يمكن ان يفوت المؤلف ان يتربح من ورائها فيجعلها تكره اليهود .. والمهم ان يحشر اليهود في السياق والسلام) . وعندما يحاول موسى الحانة ، وهي شاب شاذ ، اغواء الجندي المخمور (لعله نازي ؟) يفشل .. وبمدها تاتي المذبحة .

ولا ندري ان كان هذا فنا جديدا ابتمته اميركا ام لا ، لكن الواضح انه صادق في تصويره لنماذج العظام البشري الطافية بكثرة - دائما - على سطح المستنقع . وربما كان ريك كلوشي هذا هو التطور الطبيعي لدامون رينون (Damon Runyon) . والذي يبدو ، على اية حال ، ان مسرح الليمان هذا جاء ليبقى . فعلى مسرح الرويال كورت مسرحية جديدة تجتذب لندن كلها ، مؤلفها اميركي ايضا ، هو سام شبرد الذي كتب موسيقاها الروك كذلك ، عنوانها « ناب الجريمة » تجعل من رؤساء العصابات ملوكا كملوك العصور الوسطى يتبارزون كالفرسان ، وعندما ينهزمون ينتحرون كالساموراي . وسام شبرد ليس خريج ليمان كصاحبنا كلوشي ، بل هو عضو في الفريق المسرحي الناجح الذي قدم للمسرح الانجليزي المسرحيين الموسيقيين « المسيح سوبرستار » و« عرض روكي للاهوال » .

وحتى المسرح التجريبي انتقلت اليه المنوى ، فمسرحية «الزائر المحترم » لبول بيلي التي تخرجها الكاتبة المسرحية آن جليكو تدور احداثها في مستشفى للمجرمين المصابين بامراض عقلية وبطلها جورج يجلس - بعد ان قتل ابنه وهو جنين في بطن عشيقته واوشك ان يقتل الام مستميدا حياته في لقطات « فلاش - باك » مرتبكة واليمة .

والى رسالة قادمة لتتحدث عن موسم البولشوي العاصف في لندن وما صاحبه من بهلوانيات صهيونية ، وعن اهم الافلام الموسم السينمائي .

لندن

صدر حديثا

سبع زناي على

قبر عبد الناصر

للشاعر

حسين حيدر

دار العودة